اللانداي

الشعر الشعبي للنساء البشتون

مختارات

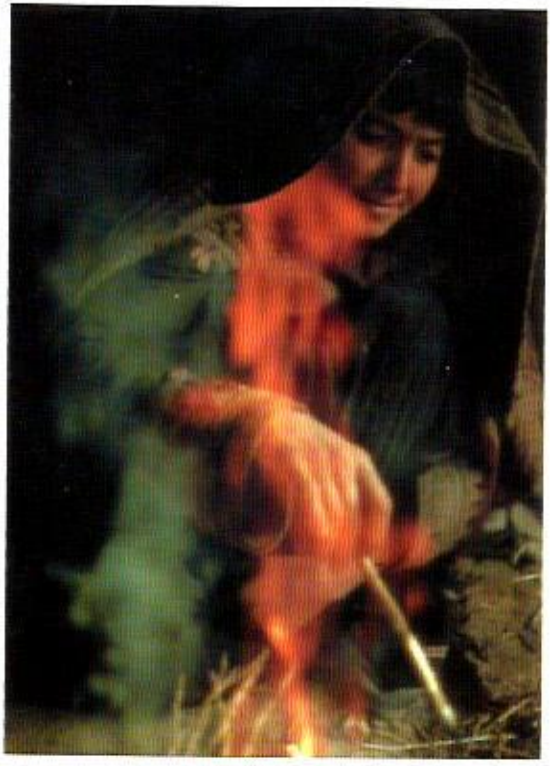

تحرير : سعيد بهوالدين مجروح

ترجمة : جميل صلاح

الانتشار العربي
Arab Diffusion Company

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

سعيد بهو الدين

الشعر الشعبي للنساء البشتون
اللانداي

ترجمة: جميل صلاح

مؤسسة الانتشار العربي
Arab Diffusion Company

fb/mashro3pdf

الشعر الشعبي للنساء البشتون

مختارات

اللانداي

تحرير: سعيد بهو الدين مجروح

ترجمة: جميل صلاح

مؤسسة الانتشار العربي

ص. ب. 113/5752 ر. ب. 1103 2070
Email: arabdiffusion@hotmail.com
بيروت – لبنان

الطبعة الأولى ٢٠٠٢

fb/mashro3pdf

المحتويات

توطئة ٧

مقدمة ٩

المنفى ٤١

القتال ٤٢

البشع الدميم ٤٣

الحب ٤٤

ثلاثة وتسعون لانداي ٤٧

نماذج مختلفة من اللانداي من النساء والرجال ٦٣

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

توطئة

تقوم هذه الترجمة أساساً على كتاب سعيد بهو الدين مجروح الذي قام بجمع هذه القطع من شعر اللانداي وقام الشاعر الفرنسي أندريه فيلتير بترجمتها إلى الفرنسية.

ثم أضفت فصلاً كاملاً غير موجود في الكتاب المذكور الذي حذف منه نص الشاعر الفرنسي، ويشتمل على قصائد مختلفة من اللانداي النسائي والرجالي أيضاً

المترجم

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

مقدمة

دون أنموذج يقلد، دون مرجعيات شعرية يحتذى بها، يبدع مؤلفو أدب لغة الباشتون الشفوي في منأى عن الكتب. بشكل عام، يصونون مؤلفاتهم، الخالية من المؤثرات الخارجية ومعونات الأبحاث الدراسية أو الجامعية ويمنحون أعمالهم قوة الصدى الرمزي لنتعرف عبرها على شعب بأكمله.

مع ذلك، عرف هذا الارتجال الشعبي كيف يطور أشكالاً عظيمة التنوع، ذات قواعد خاصة في نظم الشعر، وغير منفصل عن الغناء. مع ذلك، مثل هذا الشعر لا يهدف إلى خطابية الكلام المنمق. وإن كانت أوزانه وقوافيه تتحلى، قبل كل شيء، بأنغام قيمة.

أما فيما يخص المضمون، فاختلافه عن شعر الداري (الفارسي) جلي، إذ لا يمجد الحب الصوفي، ولا يكشف عن أي إلهام موجه إلى سماء مجهولة، يتعذر سبرها، وغير قابلة للكشف. لا يكرس نفسه للمديح الإلهي، ولا يبدي أي تمثيل لمعلم مطلق يتحكم بحياة وموت مخلوقاته. صورة المراهق الجميل، هدف الشهوة الشاذة، مستبعدة هنا أيضاً.

لا يوجد أي صدى هنا للعب بالكلمات، الإفراط في العواطف والمجاز

fb/mashro3pdf

المتكلف ـ تمارين بلاغية أوصلها الأدب الفارسي يوماً إلى حدود اللامعقول.

من جهة أخرى، ثمة شيء بسيط وحيوي يؤكد نفسه دوماً هنا: أغنية كائن أرضي، بهواجسه، قلقه، فرحه ومتعه، أغنية تحتفل بالطبيعة، الجبال، الوديان، الغابات، الأنهار، السحر، الغسق، فضاء الليل الجذاب. أغنية تقتات أيضاً على الحرب والشرف، العار والحب، الجمال والموت.

مع ذلك، فإن الأصالة العظيمة لهذا الشعر الشعبي تكمن في وجود المرأة الفعال. إن كانت، كما هو الحال في كل مكان، تساعد على الإلهام في أناشيد الذكر الرتيبة، فإنها تفرض نفسها هنا كمبدعة وبشكل خاص ككاتبة وموضوع عديد من الأغاني. يتطلب هذا النمط دوماً مشاركتها: اللانداي، الذي يعني حرفياً «الموجز» هو في الواقع قصيدة قصيرة جداً، بيتان من الشعر الحر يتكون الأول من تسعة مقاطع والثاني من ثلاثة عشر مقطعاً دون قافية إلزامية، لكن بتفعيلة داخلية قوية. مع اختلاف الأنغام وفق المناطق، كثيراً ما يبرز نقاش على طريقة الاستشهاد بالأقوال، بإلقاء يدعم شعور أو فكرة. مثل صرخة قلب، كالضياء، واللهب، يستحوذ اللانداي بإيجازه وإيقاعه على الألباب. من جهة أخرى، تصون هذه القصيدة المجهولة القائل التنافس شبه الدائم، فكل بعد ظهر، حين تذهب فتيات القرية لجلب الماء من النبع، أو حين يرقصن ويغنين في احتفال أو زفاف، يرتجلن لانداي جديدة، يترسب أفضلها على الفور في الذاكرة الجماعية.

وعليه، بإمكان الجميع، رجالاً ونساءً، التعبير عن شعور، رغبة، شكوى بواسطة هذين البيتين من الشعر الغنائي، لكن يساعد كلا الشكلين، النحوي والإلهامي، على تميز الاختلافات المحرضة. يستخدم المثقفون والكتاب مصطلحات معقدة، تلميحات قرآنية، تعابير فارسية وحتى عربية، كما تتسم مؤلفاتهم بالبراعة. على النقيض من ذلك، يبدي المنشدون ورجال الدين، من غير الحاصلين على ثقافة أدبية حيوية قوية، قليلاً من الحذلقة، وإن لم تبلغ ألحانهم أحياناً سوى بساطة اللانداي النسائي العميق

fb/mashro3pdf

والصافي، الذي ينبع بالتأكيد من مجتمع أمي أو على الأقل من أرض يباب. إذا كان اللانداي النسائي سهل، هش وجميل مثل الزهور البرية في السهول والجبال المجاورة، فإنه يولد دون بذر منتظم، حماية أو إعداد. من نظرة محددة، خارج المضمار، خارج الحقل الثقافي المقتصر على الرجال فقط، وخارج النطاق الاجتماعي. من جهة أخرى، لا تدع المشاعر والأفكار التي تحملها أي شك في جنس مؤلفيها: ليس بوسع الرجل الباشتوني قط خلق شيء محير، ولن يقدر حتى عن طريق المحاكاة. على سبيل المثال، من المستحيل عليه نفسياً أن يكتب عن عشيق يشك في رجولته أو كرامته مهانة.

وعليه، كل اللانداي المقدم في هذه الدراسة هو من المختارات الشعرية النسائية، التي تظهر أصالة أصواتها أنها فريدة، وتنبثق من هذه النصوص وجه مدهش تشدو فيها النساء ويتحدثن عن أنفسهن، الرجال والعالم حولهن، وجه أنوف، قاسي القلب ومتمرد.

وضع المرأة في مجتمع الباشتون، بتركيبته القبلية والدينية القوية، صعب بشكل خاص. مجموعات من المحاربين، يملك فيها الرجال البالغون الموالون للقبيلة فقط والمؤتمرون بأمرها حقوقهم كاملة. يدار هذا المجتمع كلياً وفق قيم الذكورية، المعتمدة على قانون الشرف. وتعاني المرأة ، في مثل هذه البيئة المتطرفة الذكورية، ذات الشكل الورع والمتعصب، من اضطهاد مزدوج، جسدي ومعنوي.

جسدياً، تتحمل عبء ثقل أعمال البيت المضنية. أما إذا تبادل الرجال إطلاق النار من وقت لآخر، وذهبوا إلى الحقول عرضياً، فإن الجزء الأعظم من حياتهم يقضى في المساجد أو في ساحة القرية، حيث يناقشون شؤون القبيلة السياسية. من جهتها، تعمل المرأة طوال العام من قبل بزوغ الفجر وحتى وقت متأخر من الليل. بالإضافة إلى مساعدتها في الحصاد الموسمي، فإنها تتحمل الكد الدائم بشكل منتظم دون راحة أو عطلة. تذهب كل يوم مرتين، في الصباح والمساء، في مهمة جلب الماء الشاقة من النبع أو النهر، وتقطع أحياناً مسافات طويلة، وهي تحمل على الرأس أو

fb/mashro3pdf

تحت الذراع جراراً في غاية الثقل. تعتني بالأطفال، الذين هم دوماً عديدون، والطهي والماشية، تطحن الحبوب، تحضر الطحين، تخبز الخبز، تغزل الصوف، تخيط الملابس، تجفف السماد الحيواني وتسقي الزرع الحال أن هذه المرأة لا تتذمر أبداً من عملها العبودي. يندر وجود لانداي تشير فيه إلى «الأصابع المخملية» التي تلتقط بها سنابل الحنطة، أو جرتها الثقيلة جداً، التي كثيراً ما تسبب الآلام في الظهر.

في الواقع، الجانب الأخلاقي لعبوديتها ما يسبب أعظم معاناة. تحس بنفسها مقموعة مهانة وكائن من الدرجة الثانية. من المهد، تستقبل بالحزن والعار ـ عار لا تراعيه الأم، التي أنجبت ابنة. أما الأب، الذي يتلقى خبر قدوم هذا المولود غير المناسب، فيكون في حالة حداد. في حين يحتفل بالمولود الذكر بإطلاق الرصاص. أما البنت فتمسي متداولة مثل النقد بين العائلات دون استشارتها، وتقضي كل حياتها في حالة من الشعور بالنقص، التبعية والإهانة، وحتى زوجها لا يتنازل لتناول الطعام معها.

في مواجهة هذا الوضع من الغل السلفي، ماذا يمكن أن يكون ردّ فعلها؟ ظاهرياً، الإذعان التام. تنجز عملها مثل ساعة، تقبل وتذعن لنظام القيم الذي يجعل منها مجرد شي كباقي الأشياء العادية. مع ذلك، إذا تعمقنا بدقة أكبر في المسألة. سيتضح لنا أن المرأة الباشتونية في واقع الأمر ساخطة، محتجة وترعى تمردها. في مواجهة هذا الاحتجاج الدفين، الذي يقسو من يوم لآخر، لا تدلي في النهاية سوى بشهادتين: انتحارها وأغنيتها.

فيما يخص الانتحار، نعلم أن قانون الشرف القبلي يعتبره مثل الجبن ويحرمه الإسلام. لا يلجأ الرجل الباشتوني إلى هذا بتاتاً. وللتهرب من هذه السمة الشائنة، تعلن المرأة كرهها المأساوي لعرف المجتمع. حتى اختيار وسيلة الموت تحدد اتجاه التضحية: ولا يتم هذا إلا بتناول السم أو الغرق طواعية. ليس هناك رصاصة في القلب، ولا شنق، لأن البديل الضروري ـ البندقية أو الحبل ـ وثيقا الصلة باليد. بالبندقية يصطاد الرجل ويحارب، وبالحبل يربط الحيوان والحطب ويجر الأحمال الثقيلة

fb/mashro3pdf

إذا كانت المرأة الباشتونية بانتحارها تقوم بعمل اجتماعي غير قابل للاسترداد، فإنها تطور بأغنيتها تحد ذي طبيعة شخصية يمكنه هو أيضاً بطريقته أن يبدو مهلكاً. تثير هذه الألحان بلا كلل ثلاثة مواضيع لها طعم الدم: الحب، الشرف، والموت.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

I

حب المرأة محرم، محكوم في الحياة الباشتونية والمشاعر الدينية بقانون الشرف. لا يملك الشباب الحق في المعاشرة، الحب والاختيار. الحب إثم كبير عقابه الموت، حيث يقتل العاقون ببرودة. مذبحة المحبين (دوماً ودون استثناء امرأة) ما يثير عملية ثأر بين العائلات لا نهاية لها.

الفتيات الشابات أشياء يتم مقايضتها، وتقرر زواجهن سياسة القبيلة في العلاقات العائلية. لا تدخل المشاعر الشخصية للشباب في الحسابات، مما يفسر أن الأغنية في اللانداي هي دوماً صرخة فراق. فإما يغادر المحب البلاد لكسب قوته في مكان آخر، أو يقطن في قريته، لكن الموانع الاجتماعية لا تسمح له بالاتصال بحبيبته. الأب والأخوة هناك يحمون بشراسة عدم فساد النظام. في بيت الزوج، تعاني المرأة ثانية أكثر من نوعين من الزواج غير المتكافئ: إذ غالباً ما يكون زوجها طفلاً، وهذا الرفيق المفروض عليها ما تدعوه «البشع الدميم» . ليس هناك لانداي واحد يشير إلى حب زوجي أو

fb/mashro3pdf

مشاعر رقيقة تجاه الزوج ووفاء له. الحب والوفاء مقتصران على العشيق.

وعليه تستحضر المرأة هاتين العلاقتين غير المتكافئتين:

وهبني القدر زوجاً طفلاً أرعاه

لكن يا إلهي، حين يكبر ويصبح قوياً، سأكون كهلة ضعيفة.

* * *

أيها البشر القساة، ترون كهلة يجرني لفراشه

وتسألون لِمَ أبكي وأشد شعري.

* * *

لكن رتابة الوجود لا تساعدها على تحمل لامبالاة الحياة الزوجية التي تحياها بصعوبة:

يا رب! هبني مجدداً ليلاً قاتماً

ومجدداً أرتعش واقفة على أصابع قدمي، لأني مجبرة على الصعود لفراش أكرهه.

* * *

يا رب! مجدداً الليل طويل حزين

ومجدداً هنا «بشعي الدميم» نائم

* * *

من جهة أخرى هي تخدم «البشع الدميم» جيداً، لنستمع:

يا حبيبي، اهبط على فراشي، لا تخش شيئاً

إذا انكسر، «البشع الدميم» هنا يصلحه.

* * *

fb/mashro3pdf

يستاء «البشع الدميم» عندما تأتي إلى بيتنا، يا حبيبي.
توقف عن المجيء. من مصراع الباب سأقبلك.

* * *

لكن في هذا المضمار من الحب، تعبر المرأة موضع النزاع، عن عاطفتها المتمردة بأسلوب أبلغ. ففي مجتمع حيث تعتبر الرغبة والجنس من المحرمات الكبيرة، لا تخشى من الاقتراب من هذه المواضيع ومعالجتها بصدق قاس ودون اللجوء إلى طرق ملتوية. بين الجسد والدم، تفتخر بتعظيم جسدها ، الحب الجسدي والثمرة المحرمة. تتصرف كما لو أنها تريد، عن طيب خاطر، صدم وفضح الرجال، وتستفزهم في فحولتهم نفسها. ما يمنح قوة خاصة لهذا الخطاب أنها لا تضفي رقة أو شفقة عليه.

كل امرأة تصرخ بأعلى صوتها معلنة عن حبها وتحدث فضيحة في المجتمع:

أحبه! أحبه! لا أخفي ذلك، لن أنكره.
حتى لو قطعوا كل شاماتي بالسكين.

*

الليلة الماضية كنت بجانب حبيبي، يا للوصال الذي لن يعود!
مثل جلجلة حلي، كنت أطنطن بين ذراعيه حتى آخر الليل.

*

ضع شفتيك فوق شفتي
لكن دع لساني طليقاً لأكلمك عن الحب.

*

fb/mashro3pdf

فمي لك، التهمه لا تخش شيئاً.
فهو ليس مصنوعاً من سكر يوشك أن يذوب.

*

غداً المتعطشون لحبي سيرتوون
ذلك أني أريد أن أعبر القرية، وجهي مكشوف وشعري محلول.

*

خذني بين يديك أولاً ثم ضمني
بعدها أدر وجهي وقبّل شاماتي واحدة تلو الأخرى.

*

تعال بقربي يا حبيبي
إذا كان خجلك يمنعك من لمسي، سأجرك بين ذراعي.

*

أليس هناك مجنون واحد في القرية؟
لون سروالي الناري يحترق فوق فخذي.

*

يريدني حبيبي أن أقبله بين ورق التوت
وأنا أقفز من غصن لغصن لأهبه شفتي.

*

الديك اللعين وغناء فراقه الحزين لتوه صدح،
وحبيبي يغادر كطير جريح.

fb/mashro3pdf

بيد أنه إذا دعت امرأة الباشتون الرجل للحب، فإنها لا تغويه قط لا برقتها ولا بعذوبتها. بل تستفزه في شرفه وكرامته، لكن في لعبة الجسارة هذه ، هي التي تتعرض لمجازفات أكبر، حيث بوسع الرجل الدفاع عن نفسه، الفرار، اللجوء إلى بلد ناءٍ، بينما لا تملك المرأة مثل هذا الملاذ. مكشوفة، ليس لها سوى التعرض للذبح. مع ذلك لا يشكل هذا التغطرس أي وهم للخطر المحقق المترصد بها. إذا كانت راضية فقط بتشجيع الرجل المحارب الباسل، فإن ذلك يتم بأخذ بعض المجازفات.

قربك أنا جميلة، فاه، ذراعان مفتوحان،
وأنت كحجبان لا تقاوم السبات.

*

إذا كنت تبحث عن دفء ذراعي، ينبغي أن تخاطر بحياتك،
لكن إذا كنت تحرص على سلامتك، قبّل الغبار عوض الحب.

*

تعال قبلني دون تفكير بالمجازفة، إذا قتلوك ليس هذا مهماً
يستشهد الرجال الحقيقيون دوماً في سبيل حب الجميلة.

*

أعطني يدك يا حبيبي واذهب إلى الحقول
لنحب بعضنا أو نسقط معاً تحت نصل السكين.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

II

هذه النبرات التي هي بالنسبة للعبة الحب كالدعوة إلى القتل في فن الحرب، تلغي بجلاء القيم المرعية في المجتمع الباشتوني. تغذي الاضطرابات والقلق في وعي الذكر، وتهدم حقوقه وكبرياءه، ذلك لأن حياة القبيلة تعتمد أساساً على قانون الشرف، فيمسي التحريض فخاً فظيعاً. أما وأن هذا الرهان الأساسي لا يمكن تغييره، لذلك تتفنن المرأة في تهييج هذا المنطق. أغانيها في هذا الحقل صدى أصيل للعلاقة بين السيد والعبد أو بعبارة شاعرية صرخات القامع والمقموع.

ما هو إذن موقف المرأة في اللانداي فيما يخص قانون الشرف في المجتمع الذكوري؟ عند سماع اللانداي، يخيل للمرء أنه يسمع ضحكة مدوية، ضحكة رنانة، قاطعة، طنانة عديمة الرحمة والشفقة.

يبدو هؤلاء الرجال الأقوياء الشرسون القساة لها كالأطفال، ويبدو أنها تقول لهؤلاء الأطفال الملتحين إنكم تفتخرون برجولتكم وتحبون اللهو كثيراً بلعبة الشرف، وأنا كذلك سأشارك في هذه

fb/mashro3pdf

اللعبة، وسأدفعكم لتحمل أكثر النتائج تطرفاً بسبب مبادئكم الراسخة.

تمر الأمور كما لو أن هذه المرأة الخانعة شيء مثل باقي الأشياء، مادة مقايضة اجتماعية، شيء رئيس في عرف الشرف، على وجه التحديد، فتصبح ، بالسخرية الجدلية كائناً وإرادة. في هذا الميدان المسيّر من قبل الرجل ولصالحه تبدو كأنها تتحكم في الأمور، قالبة بذلك الوضع. تقرر أن تهرب من الذكر الذي يعتبرها ملكاً له، ويظن أنه يتحكم بها كما يشاء، عبر ألحانها فقط.

وعليه، عندما تندلع الاشتباكات المسلحة يضطر الرجل للذهاب، إذ لا يمكنه التملص منها، لأن فتيات القرية سيسخرن منه في حال تخلفه. إذا حدث وأن عاد من معركة، سفر طويل أو من مغامرة ما سيتساءل بالتأكيد «ماذا تقول نساء القرية؟» على سبيل المثال، إذا رجع مهاناً أو مغلوباً في معركة دون أن يقضي على غريمه، أو دون أن يغنم أشياء ثمينة تمكنه من الحصول على أرض، توسيع نفوذه أو إعادة احتلال منصب اجتماعي مفقود، يصبح من المستحيل عليه أن يعيش بطريقة شريفة في بيته تحت نظرة السخرية القاسية من زوجة صامتة. ظاهرياً، تبدو مطيعة، غير أنها باردة. وأخيراً يحدث انقلاب قوي في الوضع، فرأي المرأة ونظرتها يقرران كيف على الرجل أن يتصرف وفق قانون شرفها الخاص.

من جهة أخرى تتقبل امرأة الباشتون أفدح النتائج لموقفها حتى لو تعلق الأمر بأبنائها، فهي التي ترسلهم إلى حرب الثأر وتنصحهم بالتصرف كأبطال حتى لو لم يؤوبوا أحياء. من يعود مصاباً، ينبغي أن تكون جروحه في الصدر لا الظهر. من جهة أخرى، عندما تتلقى خبر وفاة ابنها في ميدان الشرف، يبدو أننا أمام امرأة تتحكم

fb/mashro3pdf

في حنانها، محرومة من كل ضعف أمومي، ودون شك يمكن التأكيد أنها تفتقر إلى الإحساس الطبيعي المدعو، حب الأم. تبدو كأنها خلقت من طينة مختلفة. عواطفها الإنسانية عميقة مثل أي عاطفة إنسانية أخرى، غير أن نفسيتها تفر من الأعراف المرعية. لا تحب هذه الأم بطريقة الأم العادية، لا تحب ابنها على طريقة الأم المعهودة، لا ترى فيه فلذة كبدها، بل رجلاً ينتمي إلى مجتمع ذكوري، أي المخيم المضاد. ثمة أسباب ثلاثة تفسر ردّ هذا الفعل الاستثنائي:

١ ـ علاوة على العمل العبودي الذي تقوم به، فإن المهمة الأشد قسوة وصعوبة تكمن في العدد الكبير من الأطفال الذين ترعاهم. تشهد أكثر من نصفهم يقضون في أعمار مختلفة. ودون التطرق إلى الأشغال الشاقة التي تجرد المرء من إنسانيته، فإن المنظر كثير التكرر للأبناء الذين يموتون يقسي قلبها. بالإضافة، إلى هذه الحياة المشبعة بالعنف، تبدو عواطف الحنان وحب الأم ترف بعيد المنال.

٢ ـ يبدأ الابن في ضرب أمه حين يبلغ بالكاد سن المراهقة. تعتبر نوبات وحشيته وقسوته على أمه نوعاً من دخول حياة البالغين، وضمان على الحزم. يحضر الأب العروض التي يؤكد فيها ابنه ذكوريته بنوع من اللامبالاة المجاملة.

٣ ـ فـي المحصلة الأخيرة، الأطفال عموماً ثمار زواج إجباري.

الآن، هذه بعض نصوص اللانداي التي تتعلق بالمكر الأعوج للشرف، حيث تضع المرأة الرجل في شرك قيمه الخاصة:

fb/mashro3pdf

اذهب يا حبيبي، وانتقم لدم الشهداء
قبل أن تستحق اللجوء إلى نهدي.

*

هل يمكنك أن تموت في ساحة الشرف، يا حبيبي!
كي تتغنى الفتيات بنصرك كلما ذهبن لجلب الماء من النبع.

*

أواه يا حبيبي! إن كنت ترتعش بين ذراعي هكذا،
ماذا ستفعل عندما تنطلق ألف شرارة من صليل السيوف؟
اليوم إبان المعركة، أعرض حبيبي عن العدو.
شعرت بالعار لعناقه ليلة أمس.

*

عاد بثقوب رصاص بندقية جهنمية
سأضمد جراحك وأهبك شفتي.

*

إذا أعرضت عن العدو، يا حبيبي، لا ترجع إلي!
اذهب وابحث لك عن مأوى في بلد بعيد.

*

حتى ولو وجدوك مقطعاً بسيوف حادة،
لا أريد أن يصل خبر هذه الفضيحة إلى مسامعي.

*

fb/mashro3pdf

أرسلتك بيدي إلى الموت
وصعدت فوق السقف لأراك تتصدى لأول إطلاق نار.

*

أسرع يا حبيبي، قم بسرعة بالهجوم،
لقد راهنت عليك مع فتيات القرية.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

III

كلما كان للمرأة الباشتونية صلة مع الموت فإنها تدرك هذه اللحظة بطريقة خاصة. دعنا نلاحظ أولاً أننا لا نجد في مفرداتها أي أثر لكلمة «روح» ولا تعبير بديل مقارب. الكلمة العربية «روح» التي توحي بكينونة روحية مستقلة عن الجسد وتسمو على المادة، توجد في اللانداي فقط على لسان الأدباء والمتدينين. تستخدم المرأة كلمة الباشتو «سا» التي تعني حصرياً «التنفس». استرجاع السا يعني وقف الشهيق والزفير، نهاية كل تنفس ليس إلا. وعليه يبدو أن المرأة لا تهتم بروح مستقلة ومنفصلة عن الجسد. فقط تغني مصير الجسد وتميز عنصراً من هذا الواقع الجسدي: القلب. مركز العواطف، الفرح والحزن، الآمال العابرة، واليأس العميق. إلى حد ما، كثيراً ما تستخدم كلمة «القلب» لمنح نفسها صفة الشاهد. عبر هذا المصطلح المصطنع، تقسم المغنية نفسها وتخاطبها وتغني لها. كما ينظر للقلب أحياناً مجسداً، حيث يقارن بالطائر، الخراب، نافورة دم، فرن مقفل يلتهم لهبه.

وعليه بهذا الجسد تحس بالراحة مع نفسها، تتكلم عن نموه

fb/mashro3pdf

الهش، مثل الزهرة البرية في قمم الجبال، ثمالة عينيها الذابلة المتيمة، رحيق شفتيها، ثواب الأبطال، شاماتها الشبيهة بنجوم سماء، وجه ندي، شعرها الأسود بلون الليل، نهودها الشامخة مثل رمان قندهار، فخذيها المخمليين

مع ذلك، كلما فكرت بجسدها وقوة حبها أكثر، كلما ازدادت إدراكاً لتعاقب الأيام وسمات الوجود الزائل.

أسرع يا حبيبي، أريد أن أهبك شفتي!
يجول الموت في القرية ويمكن أن يأخذك.

*

تعال واجلس لحظة بجانبي يا حبيبي.
الحياة سريعة مثل أفول أمسية شتائية ماضية.

*

افتح ضريحي، يا حبيبي، وشاهد
الغبار الذي يغطي النشوة الحلوة لعيني.

*

أيها اللحد الخراب، أيها القرميد المشتت، لم يعد حبيبي سوى رماد

وريح السهل تذروه بعيداً عني.

*

يظهر أن امرأة الباشتون، ابنة الأرض المخلصة، تؤمن بأن الموت عودة بسيطة إلى المواد الأولية: الريح، الغبار، العشب، الماء، النار. لا تحلم بحياة بعد الموت، إذ ليس هناك قطعة لانداي نسائية واحدة

fb/mashro3pdf

تعبر عن أمل أو خوف من عالم آخر. على النقيض، ما يحكم يأسها العميق أنها لم تعش زمناً كافياً وأنها لم تحس جمالها، شبابها ومسرات الحب ما فيه الكفاية. ما يجعلها تعاني ليس إطلاقاً الخوف من المصير المجهول أو الندم على الأخطاء التي ارتكبتها، بل الندم على الانقراض وبها جوع لم يشبع قط بالقوت الأرضي، والظمأ الذي لن يروى فيها للسعادة الإنسانية الوحيدة.

تسمو المرأة الباشتونية بنفسها عبر أغانيها لتبلغ مرتبة بطلة تراجيدية، دون وهم بحياتها المستقبلية ويقينها أن أي حب أرضي محكوم بالفشل والموت. مصيرها مرسوم في حيز شاسع، لكن قانون الرجال منسوج من الممنوع. كما تغذي صورتها بما هو في متناول يدها: الطبيعة المحيطة بها. هي بسيطة دون تعقيد، مثل رسم هضاب عارية، نقية، شفافة ومندفعة، مثل سيل الوديان الصخرية. جميلة ، مهيبة وصلبة، مثل الجبل الذي يعكس زرقة الهندوكوش.

١

خفية أكتوي، خفية أبكي
أنا امرأة الباشتون التي لا تقدر الإفصاح عن حبها.

٢

اختبأت خلف الباب
وخلسة طالعتني، أدلك نهدي العاريين.

٣

طواعية سأهبك شفتي
لكن لم علي أن أهز جرتي؟ فأنا مبتلة تماماً.

fb/mashro3pdf

٤

أيها الربيع! شجر الرمان مزهر
من حديقتي، سأحتفظ لحبيبي البعيد، برمان صدري.

٥

الليل، الشرفة مظلمة ، والمضاجع عديدة
خشخشة أساوري ستهديك، يا حبيبي، إلى الطريق.

٦

خذني أولاً بين ذراعيك، كن لي
بعدها فقط بإمكانك أن تلتف حول فخذي المخملين.

٧

ضمني برغبة تحت ضوء القمر الوضاء
في تقاليدنا، نهب شفاهنا في النور الساطع.

٨

تعال كن زهرة على صدري
لأنعشك كل صباح بضحكة مدوية.

٩

فعلت بي كل ما أردت
ضع الآن غطاءً على وجهي: فأنا أريد أن أنام.

١٠

حذار، تماسك، لا تفقد رباطة جأشك

fb/mashro3pdf

مثل فنن مزهر مائل فوق الرأس، أنا بقربك.

١١

يحرمك الله من كل متعة في السفر
لأنك تركتني هاجعة غير مشبعة.

١٢

الجبال، يا حبيبي، في الناحية الأخرى، تأمل القمر ملياً
تراني فوق السقف في انتظارك.

١٣

الليلة الماضية رقدت بين ذراعي
بعيداً عني هذه الليلة، كيف ستجد الراحة؟

١٤

من صدري صنعت سريراً
حبيبي المنهك يسير على الدرب الطويل قادماً إلي.

١٥

سطع نور الفجر الأبيض
وأنا المسكينة، أحاول دوماً أن أثلج صدر حبيبي المستاء.

١٦

لا يعرف حبيبي المزاح
بضفائري الطويلة ضربته برفق، فغضب فجأة.

fb/mashro3pdf

١٧

يود حبيبي أن يقبض على لساني في فمه
ليس متعة، بل ليمارس حقوقه الثابتة علي.

١٨

ألا تخجل بلحيتك البيضاء؟
أنت تتحسس شعري، فأضحك في قرارة نفسي.

١٩

لن أتخذ قط عشيقاً مسناً
يبدد الليل في التخطيط، ويدعي أنه متأهب في الصباح.

٢٠

واحد يموت لرؤيتي لحظة
وآخر يلقي بي خارج السرير مدعياً أنه نعسان.

٢١

ضفرت شعري، لكنه انحل.
لابد أن حبيبي المسافر يصادف الخطر، احفظه يا ربي.

٢٢

ماذا يعرف غير أن يتصرف كبطل
رغم أني أضع ذراعي البيضاوين وسادة تحت رأسه.

٢٣

الليلة الماضية رأيت في المنام

fb/mashro3pdf

أني مسافرة في سريري، حيناً مسجية، وبين ذراعي حبيبي حيناً آخر.

٢٤

بسرعة تعال يا حبيبي، لأهبك شفتي
حلمت أنك ميت الليلة الماضية، فأصبت بالجنون.

٢٥

في لحظة ستصبح حفنة من رماد
إذا رمقتك بنظرة ثملة.

٢٦

ثملت لأني ابتسمت لك
إذا وهبتك شفتي، ستصاب بالجنون.

٢٧

أجّل صيحتك أيها الديك
فلقد وافيت حبيبي من لحظات وأنا بين ذراعيه.

٢٨

أبعد خصلة الشعر السوداء عن جبيني، قبّل شامة حسني
فهي فاكهة الجنة، جالبة الحظ طيلة الحياة .

٢٩

تعلّم كيف تلتهم شفتي
أولاً، ضع شفتيك، ثم اضغط على خط أسناني برفق.

fb/mashro3pdf

٣٠

الليلة الماضية رأيت في المنام حلماً تحقق
حبيبي الوجل ضمني بين ذراعيه في وضح النهار.

٣١

تنازلت لك فقط عن حظوة شفتي
فلا تبحث دون جدوى عن عقدة حزامي.

٣٢

مر بيدك في تجاويف أردافي برفق
رمان قندهار أزهر، ونضج قبل حين.

٣٣

لون سروالي، المنزلق على فخذي، ناري
قلبي يحدثني أنك آت الليلة هذا المساء أو غداً.

٣٤

يا إلهي، ماذا تفعل بي؟
الآخرون زهور تفتحت وأنت تركتني برعماً.

٣٥

تعال، يا حبيبي، بسرعة تعال قربي
«البشع الدميم» نائم وبإمكانك عناقي.

٣٦

من سوء حظه لم يأت ليلة أمس!

fb/mashro3pdf

وحيدة بقيت طوال الليل واقفة فوق السطح.

٣٧

مستلقية أود أن أعانقه
لكن حبيبي حذر يخشى أن يستيقظ «البشع الدميم».

٣٨

قرب الزهور يرتاح حبيبي
يغطيه ندى أرق قبلاتي.

٣٩

أجمع الحطب، أضرم ناراً كبيرة
فأنا اعتدت أن أهب نفسي في نور ساطع.

٤٠

أملك أساور لا ألبسها
منذ أن التحقت بحبيبي، ذراعي عارية دون حلي.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

IV

ما سبق ـ هذه الدراسات واختيارات اللانداي ـ يعيد بعث وجه المرأة الباشتونية قبل نيسان/ ابريل ١٩٧٨، أي قبل الخراب والقتلى والرعب. لم تشهد البلاد دماراً مثل الذي أحدثه الانقلاب الشيوعي، ثم الغزو السوفيتي. الاعتقالات، التعذيب، الاعدام بلا محاكمة، تدمير القرى، حريق الحصاد، كان كله نتيجة استراتيجية رعب لا يهدف إلا إلى فرض سلام سوفيتي يماثل سلام القبور.

مثال من بين ألف: مذبحة كيرالا. في مطلع الربيع وفي أمسية من آذار/ مارس ١٩٧٩، هاجمت مجموعة من المقاومة مركزاً حكومياً قرب تشاقهاساراي، المركز الاداري لإقليم جنار. في اليوم التالي، قيد كل رجال جنار إلى ساحة القرية. قام آمر الحامية، عضو في حزب الخلق، بفتح النار عليهم وأمر ضباطه بفعل ذلك أيضاً دون تمييز. قتل كل الرجال البالغين، بلغ عددهم ألف وسبع مئة، في دم بارد. الناجون الوحيدون كانوا: الأطفال والنساء. حالياً يشغل المسنون والأيتام من جنار قسماً خاصاً في مخيم لاجئين في

fb/mashro3pdf

باكستان. إنه مكان يخيم عليه الصمت، بين الحداد والجنون، ولا تغني فيه أي امرأة .

كانت مظاهرة نيسان/ أبريل ١٩٨٠ الحاشدة، بعد غزو أفغانستان من قبل الجيش الأحمر في ٢٧ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٩، من تنظيم النساء. نزلت طالبات المدارس، والمدارس الثانوية في كابول، طالبات المدارس العليا، المدرّسات، الموظفات وحتى ربات البيوت إلى الشوارع واتجهن إلى قصر الحكومة. تدخلت الدبابات الروسية وسقطت عشرات من القتلى والجرحى.

شتمت ناهد، إحدى منظمات المظاهرة، مسؤول البارشامي الذي صوّب عليها بندقيته:

«أيها النذل الصغير! حيث أنك عاجز عن حماية شرفك، فإنك لم تعد رجلاً. هيا خذ خماري ضعه على رأسك وأعطني سلاحك. سندافع نحن النساء عن هذه البلاد أفضل منك».

أطلق عليها النار وأرداها قتيلة. أصبحت منذ ذلك الحين رمزاً للمقاومة النسائية وخلد عديد من اللانداي اسمها.

ناهد الجميلة قامت وصرخت بأعلى صوتها:

انهضن يا أخواتي للدفاع، الوطن بحاجة إلي.

وهكذا تكبدت أفغانستان إبان التسع سنوات الأخيرة من الحرب أفظع دمار وأقسى مجازر دموية. من عدد السكان البالغ ستة عشر مليون، رحل ربعهم إلى البلدان المجاورة، مما يشكل أكبر عدد من المهاجرين في العالم، منهم ثلاثة ملايين مهاجر داخل البلاد نفسها، حيث تمّ نقلهم إلى مناطق مغايرة لمناطقهم، فجاؤوا واستقروا في كابول. أما القتلى فيعدون بالآلاف. كان الباشتون

fb/mashro3pdf

أكثر من تأثر بحركة التنقل الإجبارية بسبب موقع أراضيهم الحدودية، فرحلوا إلى باكستان. أقام معظم الرجال والنساء الذين حفظوا تقاليد الشعر الشفوي، خاصة اللانداي ، في هذه المخيمات. غير أن هذا لم يخمد الإبداع الشعري، بل على النقيض، وفرت الظروف المرعبة للمنفى له دفعة يائسة لا يمكن كبتها.

ازداد، في خضم المقاومة وبين اللاجئين، عدد المساهمين في قرض الشعر بشكل ملحوظ. طبع من يعرف الكتابة والقراءة قصائدهم في مجموعات، والباقون غنوها وسجلوها على أشرطة وحاولوا توزيعها.

يصدق هذا واللانداي الذي انبثق بوفرة، ناتجاً تارة عن الأدباء وأخرى عن الأميين. الفارق لم يكن سوى في نوعية الموضوع. أمست مواضيع الحب والشبق أقل شهرة وذلك لهيمنة الحماسة الدينية، الدعوة للحرب المقدسة، الحنين إلى أرض الأجداد، حس الشرف وتمجيد البطولة يتبع اللانداي النسائي في زمن النفي السياق نفسه، مع اختلاف رئيسي يتمثل في غياب اللازمة الدينية الموجودة لقوة وهوس وشكل نمطي عند الرجال. بالمثل، فقد الإلهام خفته، صوته التهكمي والحسي الجسور. بالأحرى، ركز اللانداي النسائي الجديد على البعد كونه اقتلاعاً وجرحاً: بعد الحبيب عن المعركة، والبعد عن أرض الوطن.

تخاطب المرأة المنفية الريح:

أيهـا النسيم الذي يهب من قرب الجبال التي يقاتل فيها حبيبي،

أي رسالة تحمل لي؟

fb/mashro3pdf

تجيب الريح:
رسالة حبيبك البعيد رائحة بارود المدفع
وغبار الدمار الذي أجرجره معي.

* * *

مهما كانت المواضيع التي تطورت في الأغاني الجديدة، يبقى جناح الحرب المظلم ويأس الرحيل السمة الملازمة للأنغام. وحين يتعلق الأمر بموضوع المنفى بشكل مباشر أو المعركة الوطنية، فإن هذا أمراً بديهياً لا نقاش فيه، لكن حين يبرز الشكل الشائن «للبشع الدميم» غالباً ما تظهر العلاقة لضرورة الصراع بشكل جلي. يحافظ الحب المتوهج وحده على اللهب القديم دون مساس: حيوية متمردة، حرة وحتى متحررة.

تمثل قطع اللانداي هذه التي ترتجل اليوم في المخيمات المواضيع الأربعة الرئيسة، إنها الأصداء المحتضرة للصوت النسائي القوي والمجهول.

fb/mashro3pdf

المنفى

يا حبيبي، يا شمسي، قم في الأفق، اطمس ليالي منفاي.
غياهب ظلمات الوحدة تغطي كل أجزاء جسمي.

العيش في أرض المنفى هذه يدمر القلب،
أرجعني يا الهي إلى سفوح جبالي الشاهقة.

*

حلّ الربيع، الأوراق تنبت على الغصون
لكن في بلادي فقدت الأشجار أغصانها تحت وابل رصاص الأعداء.

*

إلهي، يمكنك أن تعميني من الآن
رحل حبيبي ولا أود رؤية وجوه الآخرين.

*

أصدقائي، من سأختار من الاثنين؟
الحداد والمنفى يأتيان بيتي معاً.

fb/mashro3pdf

٢٦

القتال

يا إخوتي، اعقدن حجابكن مثل الأحزمة،
احملن البنادق واذهبن إلى ساحة الوغى.

*

فوق أرض بلادي، مذاق دم الشهداء
هو الزنابق الحمراء لربيع الحرية.

إذا لم تحمل جرحك في صدرك
لن أبالي حتى إذا ثقب ظهرك مثل مصفاة.

*

إن كنت تحبني حقاً، يا حبيبي، غادر وحرر أرضنا
ستصبح شفتاي ملكك بمثل هذه الرقة واللذة إلى الأبد.

fb/mashro3pdf

البشع الدميم

ينام «البشع الدميم» بجانبي متناسياً المعركة.

لن يحظى بالنوم قربي سوى من كان مستعداً للموت في سبيل الوطن.

*

«البشع الدميم» لا يفعل شيئاً: لا الحب ولا الحرب.

في المساء، حالما يملأ البطن، يرقد ويشخر حتى السحر.

*

قفزت في النهر، فلم تجرفني الأمواج

«البشع الدميم» محظوظ، يلقي بي دوماً مرفوضة على الضفة.

*

لا يود «البشع الدميم» الموت إثر حمى أصابته،

قررت أن أدفنه في الغد حياً.

*

افتح ثغراً في الحائط، قبلني على الشفة،

«البشع الدميم» بناه وسيتمكن من ترميمه.

fb/mashro3pdf

الحب

كيف جئت تحت القمر الساطع،
أنت شامخ مثل شجر الدلب، أين سأخفيك؟

*

تعال، يا حبيبي، كي أضمك إلى صدري،
أنا نبات اللباب الهش الذي سيأخذه الخريف قريباً.

*

أتمنى أن يدعى إلى بيتنا،
لأذيقه طرف شفتاي الندية.

*

إذا لم تعرف كيف تحب،
لماذا أيقظت قلبي النائم؟

*

ترتبط الفتيات الأخريات بحب جديد،
وأنا أخيط خرق حب قديم.

*

حل منتصف الليل وأنت لا زلت غائباً.
أغطيتي مشتعلة وتحرقني.

fb/mashro3pdf

تعال، يا حبيبي، أسرع، أشبعه
فرس قلبي الأشقر أرهقه اللجام.

* * *

إذا بقيت قوة اللانداي يبدو أن القدرة على الارتجال ستدوم بفضل القفزة القوية التي تكون دوماً فوق القدرة الإنسانية. لأن المرأة الباشتونية في المنفى تجد نفسها محرومة من كل هذه الأدوار والامتيازات. فلقد حجبت، وهي القابعة داخل خيمتها، أكثر وأكثر بفعل ضغوط الآراء الدينية المتعصبة. لم تعد تملك حقولاً تزرعها، لا يسمح لها بالخروج سافرة، ولا حرية الغناء والرقص في الأعراس. أصبحت مثل سمكة ألقي بها خارج النهر وانتهت، كنبتة مقلوعة تجف تحت الشمس اللاهبة.

أما الرجال، فقلما يفهمون المرأة، يعتبرونها مساعداً نافعاً يسوقونها مثل النوق، الخراف أو الخيول التي تمثل أملاكهم. رغم ذلك، ودون أن يعلموا لا تعد النساء تابعات لهم، إذ لا تزال قلوبهن ضائعة وأرواحهن تائهة في سهول أفغانستان. ينجحن ثانية، بسبب الألم المتزايد والتشويه المضاعف، في خداع أترابهن وانتزاع ما يملكن، لأنهن مخلوقات مهجورة.

تمثل المرأة البشتونية، القاسية والحنونة، العنيفة واللطيفة، الماكرة والساذجة، ذروة فكرة المرأة المنفية. فهي تقبع في منأى عن روحها وتعيش في قطيعة مع قلبها وتبقى لامبالية ـ باستثناء ما يتعلق بالمعركة الوطنية ـ بمطالب الرجال كما هو الحال وألعاب الأطفال. أمنيتها الوحيدة هي الرجوع إلى القرية وجلب المياه من النبع في سفح الجبال الشاهقة الثلجية.

fb/mashro3pdf

تموت هذه المرأة المنفية كل لحظة
تدير وجهها نحو مسقط رأسها،
كي تتحرر من شهيقها الأخير.

fb/mashro3pdf

ثلاثة وتسعون لانداي

١

يا إله المنفيين العظيم!
كم ستدوم الحياة في السهول القاحلة؟

٢

على وجهي تسيل الدموع،
ليس بوسعي نسيان جبال كابول ذات القمم المكسوة بالثلوج.

٣

لا أملك ما أقدمه لك يا حبيبي،
سوى أعماق قلبي، المأوى الذي شيدته لك.

٤

جبال تفصل بيننا الآن،
ستكون الطيور وحدها رسلنا، بشدوها للفأل الحسن.

٥

fb/mashro3pdf

جملت نفسي في أسمالي البالية،
مثل حديقة مزهرة في قرية خراب.

٦

يفضل حبيبي العيون بلون السماء
وأنا لا أعرف أين أبدل عيني السوداوين.

٧

في منتصف الليل ذكرياتك هي الزائر الوحيد
الذي يعذبني ويمنعني من النوم.

٨

أواه يا ربيع الرغبات غير المشبعة
تعال، اسع في طلب من لا زالوا يحتفظون بنشوة الثمالة في قلوبهم!

٩

حبك، هو الماء، هو النار،
يصليني بلهبه ويغرقني بموجه.

١٠

إذا مات حبيبي، سأكون كفنه
هكذا يتزاوج الرماد معاً.

fb/mashro3pdf

١١

ما بوسعك فعله سوى القتال؟
خانع، ستبقى عبداً وابن عبد.

١٢

الشهيد كالنور الذي يبرق ويخبو
أما من يموت في بيته فلا يخرب سوى الأسرة.

١٣

لك الغبار، لكن ليس شفتاي بعد الآن قط:
اختفيت حين غادر الرجال للقتال.

١٤

إذا لم تدق الساعة، لن يأتي الموت
إن أمسى العالم ناراً، لا تخشى يا حبيبي.

١٥

لو عرفت كيف يحل وقت المعركة
لأخذت يد حبيبي حتى ساحة الوغى.

١٦

تعال، قاتل في كابول يا حبيبي،
لك، سأبقى بكراً، جسداً وشفاهاً.

١٧

يا لذكريات حبيبي، أنت حبيبي الحقيقي!

fb/mashro3pdf

لا تفارقني، أنت الذي يسلو لقلبي.

١٨

ضمني بقوة بين ذراعيك،
فلقد مكثت طويلاً في سجن الوحدة.

١٩

ارقد في عيني،
سهاد ليالي أحالني رماداً.

٢٠

أيتها الأرض! جزيتك في غاية الثقل،
تلتهمين الشباب وتخلفين الأسرة خالية.

٢١

أمسيت أكثر المجنونات جنوناً
حين أمر بضريح ولي، أرميه بالحجارة، لأن كل نذر نذرته لم يستجب.

٢٢

حبيبي هندوسي وأنا مسلمة
من أجل الحب أكنس ممرات المعبد الممنوع.

٢٣

تعال لألمسك، أعانقك،
أنا نسيم المساء الذي يود الموت قبل السحر.

fb/mashro3pdf

٢٤

كن تلميذ أبي،
سيعلمك هو الدروس، وأنا الحياة.

٢٥

كن متسولاً ومجنوناً، واذهب للقائي،
ليس بوسع أحد سد طريق المتدينين الهائمين على وجوههم.

٢٦

الليلة الماضية كانت في غاية الغرابة
بين ذراعي حبيبي كنت أرتجف كورقة.

٢٧

يا الهي، بدد شبابي كاللهب
بعض الرجال، الوسيمين والمزهوين، يتقاتلون من أجلي - سأصبح قاتلة.

٢٨

أقسم يا حبيبي أن تأتي إلي
كي يمكنني زرع الزهور في دربك

٢٩

إذا نمت لن تجني سوى الغبار
فأنا أنتمي لمن يهتمون بي طوال الليل.

fb/mashro3pdf

٣٠

سلب قطاع الطرق كل شيء
وأنا سُرِقتُ من فوق صدر حبيبي.

٣١

أيها العود الذي أود أن أراه مقطعاً
أنا التي يحبها، وأنت من تتأوه في يديه.

٣٢

حبيبي طوق في عنقي
يمكنني أن أذهب عارية، لكن، دون قيد، أبداً !

٣٣

قلبي قال لي: «لا ذنب لي في ذلك،
العيون كانت السبب في حبي».

٣٤

يجلب السلاسل لتقييدي
لكن إن أحبني بصدق، لن تكون الروابط مقيدة.

٣٥

يمكن لهذه الصخرة أن تسحقني بثقلها
لكن لن تلمسني قط يد زوج عجوز.

٣٦

دافعوا عني، أيها الشباب، دافعوا عن شرفكم

fb/mashro3pdf

أبي ظالم يرميني في سرير عجوز .

٣٧

اذهب يا حبيبي، رحلة سعيدة !
ما أنت سوى واحد من أحبتي، سأجد مئة.

٣٨

يا إلهي! لا تدعني أموت امرأة في المنفى،
غفلت في نفسها الأخير اسمك، لأنها لا تفكر إلا في بلدها.

٣٩

في منتصف الليل حين يهدأ العالم
يستيقظ الخوف داخلي: أين إذن حبيبي؟

٤٠

التهمت شفتي دون أن تشبع
احملني أيها الأبله على ظهرك، أنا مستعدة لأن أتبعك!

٤١

لم لا تدنو مني إلا قليلاً
هل قيد أحد كاحليك، سمر رجليك؟

٤٢

أود أن أضحي بكل شيء من أجل حبيبي:
وردة وجهي، ساعة الرمل قوامي، وياقوت بدرشان شفتي.

fb/mashro3pdf

٤٣

اترك خدمة سيدك ، اخلص لي،
راتبك سيكون قبلات شفتي.

٤٤

يفضل حبيبي زهور الحدائق الرزينة
أما أنا، الزنبقة البرية، أتساقط في السهل بلا نهاية.

٤٥

أمسك بي يا حبيبي، ضمني!
البعد نهر يجرفني ويغرقني.

٤٦

تعال مثل طوق حول كل رقبتي
سأُأَرجحك على قمم نهدي.

٤٧

يا إلهي على الأقل احفظ هذا
وإلا سيقول الناس إن عشاقي يقضون لأنني منحوسة.

٤٨

أود، أيها الديك اللعين أن أنحرك!
لو لم تصح لما زال حبيبي بين ذراعي.

٤٩

خذني بقوة إليك

fb/mashro3pdf

العاصفة آتية وستأخذني بعيداً.

٥٠

تعال يا حبيبي، لنذهب معاً للفراش
عزتي كامرأة أن أكون بين ذراعيك.

٥١

تعال يا حبي الكئيب!
حتى أنت أدعوك لتلجأ لقلبي.

٥٢

صاح الديك معلناً حلول الفجر
وإن لا زال هناك ما يقال.

٥٣

انظري ما فعل حبيبك بي:
كنت تفاحة، جميلة حمراء، والآن صفراء جافة مثل برتقالة قديمة.

٥٤

هل ارتكبت خطيئة يا إلهي؟
خلقت حديقة هذا العالم وأنا أخذت الزهرة التي أعجبتني.

٥٥

ضع شفتيك على شفتي،
مثل زرجونة دالية ملتفة حول الأرض.

٥٥

fb/mashro3pdf

٥٦

سألتف حولك بكل جسمي
مثل زرجونة دالية ملتفة حول الأرض.

٥٧

كن سعيداً يا حبيبي، سأتكفل بالأحزان.
قلبي المعتاد على الكآبة لن يتصدع.

٥٨

إذا قبلت شفتي، عليك أن تهب قلبك،
من يغادرون فراشي يتعهدون بترك قلوبهم.

٥٩

إذا تفرست فيك لحظة
فلأني أرى فيك حبي الجديد.

٦٠

تعال يا حبيبي بسرعة، روّضه
جوال قلبي حطم كل الكوابح.

٦١

إذا لم يصبك الجنون في حبي
لن تذوق لب شفتي.

٦٢

لا تحطمني بين ذراعيك

fb/mashro3pdf

براعم صدري ترتجف من وجع رقيق.

٦٣

خذ بندقيتك أيها «البشع الدميم»، اقتلني
طالما بي رمق حياة، لن يتخلى عني حبيبي.

٦٤

أسرع يا حبيبي، إذا أردت استحساني
«البشع الدميم» يشيد بالصلصال شقوق الحائط.

٦٥

يا الهي، دع «البشع الدميم» يغط في سبات أبدي!
أي قطة توقظه، ويراقبني باستمرار.

٦٦

خذ، يا إلهي، هذا الزوج العجوز
لقد زادت مراقبته لي في الليالي، وينام طيلة النهار.

٦٧

يقال إن كل «بشع دميم» اختفى عن وجه البسيطة
خاصتي لا يزال حياً، ويعذبني.

٦٨

انظروا إلى قسوة الزوج الطاغية:
يضربني ويمنعني من البكاء.

fb/mashro3pdf

٦٩

أي بني، إذا هجرت حربنا
سألعن حتى الحليب في صدري.

٧٠

الأبطال دوماً أحياء
وحدهم الخونة يفنون.

٧١

يا إلهي، أحرق بيوت
من دمروا منزلي، وجلبوا إليه الموت!

٧٢

إليك شفتي، تامة كلها
لن أهبها إلا لمحارب منتصر.

٧٣

ستقتل، يا حبيبي الجميل، يوماً
لا تقدم لي زهوراً وسط الطريق.

٧٤

قلبي يرتجف خوفاً حين أمسك جرتي
حبيبي مجنون يتبعني في وضح النهار.

٧٥

لا تشدني بقوة بين ذراعيك

fb/mashro3pdf

عطر قلادتي سيفشي أسرارنا غداً.

٧٦

من أجل رؤيتك ابتكرت منعطفات
كبائع متجول أصيح على كل الأبواب.

٧٧

أستحلفك بالله يا نوم أن لا تأت
هذه الليلة الأولى الموعودة لحبيبي، أريد أن أكون نشطة.

٧٨

سأشبع كل عشاقي المندفعين
لست من تلك اللاتي ينغصن عيش المحبين.

٧٩

أهنت نفسي في نظر حبيبي
الليل لم يرخِ سدوله بعد، ذهبت للفراش دون دعوة.

٨٠

قطفت زهوراً ملء اليد
أنا حديقة تعرف أنها لك.

٨١

أردت رسم شامتي وتكحيل جفوني
إن رأيتني بعد الآن ستفقد عقلك إلى الأبد.

fb/mashro3pdf

٨٢

مرة، مرة واحدة، ضم صدري إليك
سيخبرك قلبي المحب قصته.

٨٣

يهجع حبيبي في أحضان الزهور
وأنا، مثل وردة صباح حططت عليه.

٨٤

أريدك دوماً فوق صدري
أو أفضلك في ذراعي الأرض القاتمة.

٨٥

مُرَ مرة ثانية في طريقي
آثار قدميك يذروها الغبار.

٨٦

يمكنك أن تعميني الآن يا الهي!
لا أريد أن أرى الوجوه: لقد رحل حبيبي.

٨٧

في الليل الدامس الذي يفرقنا
شعلة في اليد، أبحث عن طريقي.

٨٨

لينادي المؤذن لصلاة الفجر

fb/mashro3pdf

إذا رغب حبيبي في بقائي سأبقى.

٨٩

اجمعني يا إلهي به لحظة
مثل وميض عابر على ذراع السحاب الأسود.

٩٠

لن أذهب لجلب الماء من النبع في المساء
حبيبي شيطان يريد أن يتلبسني.

٩١

تسربل الآخرون ألبسة جديدة في العيد
حافظت على ثوبي الذي يحمل رائحة حبيبي.

٩٢

في يدي زهرة تجف
لا أعرف لمن أهديها في هذه الأرض الغريبة.

٩٣

أساور في معصمي، قرط في عنقي،
أرحل مع صديقي الحميم، عائدين إلى البلاد.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

نماذج مختلفة من اللانداي من النساء والرجال

الله كريم والجبال الشاهقة،
قممها بيضاء تعتمر الثلوج، سفوحها مليئة بالزهور.

*

أيتها الزهرة التي تنمو على سند الجبل
مهمة سقيك تعود لي، وأنت لمن تعودين؟

*

غداً سيحزم الكوشي أمتعتهم للرحيل،
الزهرة في البراري ستشم ثوبك.

*

اجلب لي باقة زهور
لأصنع ظلة فوق جبيني.

*

fb/mashro3pdf

كطفل قلبي يعول
يطلب زهوراً من حديقة غريب.

*

ثمة أقاويل حول قدوم حبيبتي اليوم
اكتست الأرض المخمل والدروب براعم الزهور.

*

مرة أخرى حولت عينيك إلى براعم نصف متفتحة
ارفع أهداب جفنيك، دع الزهور تزهر على وسعها.

*

حبيبي ينام بين الزهور
سأذر ندى فمي عليه.

*

سترتوي الفراشة من الزهور
غير أن ما أبكاني مآربك الشريرة، يا حارس الحديقة.

*

حبيبتي لا تقبل الهدايا من يدي
سأرسل رسولاً من نجوم السماء لإقناعها.

*

يا إلهي! أحلني زهرة صحراوية،
كي يهزني النسيم الذي يهب من حبيبتي.

*

fb/mashro3pdf

موسم جمالك الزاهر زائل
لكن رقوع قلبي المحروقة ستبقى نضرة.

*

من أجل وردة واحدة
تنتظر العذارى البستاني لتحيته.

*

تعكس الزهرة جمالك
لتكسر يدي إن قطعت ساقها.

*

ألقيت لي وردة
تباركت اليدان، غير أن العيون الحاقدة لاحظت ذلك.

*

منحن أنت كعباد الشمس
حين تستقيم يكون نصف النهار قد ولى.

*

يا الهي ! أحلني وردة
كي أسقط بتلة بتلة على صدر حبيبتي.

*

كنت زهرة ذاوية ملقاة على جانب الطريق
التقطتني أنامل حبيبتي المحناة، فعدت نضراً.

*

fb/mashro3pdf

يا إلهي! ما الذي فعلته!
كي يزهر الآخرون وأبقى برعماً.

*

آه يا زهرة قلبي، تعالي إلي!
يحتفل الناس بقدوم الربيع، وأنا كئيب حزين.

*

الزهور تنبت من التراب،
والتفكير بحبيبتي، الألطف من الزهرة، يدلف في الأرض.

*

وجهكِ وردة، عيناكِ شمعتان
حقاً أنا ضائع، أينبغي أن أصبح فراشة أم يراقة؟

*

أصبح زهرة على ضفة نهر
آتي إليها بحجة جلب الماء، فأشمك.

*

تعال كن باقة زهر صغيرة على صدري
لأبعث النشاط فيك كل صباح بضحكتي.

*

أقف أمامك وزهرة في يدي
خذيها أو دعيني أسير في سبيلي.

*

fb/mashro3pdf

يا إلهي! أتى الربيع، أزهرت الزهور
إلا أن براعم قلبي ما زالت في الشتاء القاسي.

*

كنت أزرع الزهور في حضرة حبيبتي
نمت الزهور، غير أن حبيبتي سلبتها الأرض القاتمة.

*

محظوظ أنت أيها البائع الجوال!
تبيع اللؤلؤ وتحصي شامات الوجوه الجميلة.

*

لا تأت يا حبيبي إلى البيت حين لا أكون فيه!
من سيكنسه بأهدابه إن كنت غائبة ؟

*

بارك الله في الساعي الصغير
الذي يكرر كلمات حبيبي لي.

*

جاءت حبيبتي لتستحم في النهر
أحلني يا الله سنونواً لأطير فوقها متعرجاً.

*

اجعلني قمراً في السماء
لأضيء خيمة حبيبي المتنقلة.

*

fb/mashro3pdf

لتفنى تلك القصور البيضاء،
وأنا أفكر في الرياح تعصف خيام الرحل.

*

ما أصبتي به من أسى ليس قميصاً يبلى
أتذكره منذ أيام نضارتي المبكرة.

*

حسبت نفسي ملكاً في المخيلة
حين رفعت رأسي وجدت أني الفقير الذي كان.

*

يا إلهي! هب الصحة للببغاء الجريح
ليتمكن من الطيران وسربه بجناحين مفروشين.

*

ليست الحمى سبب سقمي
بل تأرجح خصلات شعرها المجعد.

*

طالما الموت يهيم في العالم بحثاً عن طرائد، لن تتحقق السعادة لذا، يستحسن بقلوب الشباب أن لا تتعلق بخصلات الشعر السوداء.

*

حبيبي مسربل بكفن أحمر

fb/mashro3pdf

على جسدي يمطر الجمر المحترق.

*

جسدي أخضر كورقة حنى
خارجه نضر، داخله منقوع بالدم.

*

كل الورق النابت قرب النبع ترياق لكل ألم
إذ أن أوشحة الفتيات تلمسها حين يملأن الجرار.

*

إذا أردت رؤيتي تعال إلى النبع
براحة يدي سأملأ جرتي ببطء.

*

سيحمل الماء الزهرة التي في يدي إليك
اعترض يا شريك كربي انسياب ماء الجدول.

*

وزرة حمراء ظهرت قرب البركة
بدا كما لو أن الماء كان يحترق.

*

طالبو يدي لم يجلبوا السعادة
سأفرش ثيابي أمام حبيبي متوسلة.

*

fb/mashro3pdf

أوقد الناس نيران ما قبل السحر
أنا مصممة على التصالح وحبيبي المستاء.

*

سألملم إرب قلبي الممزق
ولن أجمع قط الذراعين اللذين التفا حول عنق حبيبي ثانية.

*

ليفنى فمي إلى الأبد
إن منح حبي لشخص آخر.

*

حبيبي لي وأنا له
سأرافقه حتى لو باعني في السوق.

*

وجنتاك شحبتا من إشاعة واحدة
وأنا مسربلة بالافتراءات من رأسي حتى أخمص قدمي.

*

ليست الرؤيا برعم زهرة
يمكنني إرسالها لحبيبي مع رسول.

*

لقاؤنا مثل وزن الريح:
لا يشبع أحداً، ولا يصلح لحزم الأمتعة.

*

fb/mashro3pdf

إذا أردت رؤيتي أسرع!
سفينة الحياة تغرق، وأنا أقف على لوح خشبي.

*

وميض آخر خبا، أيها السراج
هي نظرة أخيرة، لن تكون هناك أخرى.

*

يكفي أيها الفراق
كف يديك القاسيتين، دع حبيبي الهائم يعود.

*

أي أرض أضأتها بوجودك
بينما أنا جالسة في عتمة فراقك.

*

أمامي الفراق، وليس هناك سوى دربين لأسلكهما
سأختار الموت، أنا لا أحتمل الفراق.

*

كنتُ أكثر نضارة من براعم الربيع، يا حبيبي!
غير أن فراقك جعلني ورقة خريف صفراء.

*

اصنعي شراباً من شفتيك وقدميه لي
كي يطفئ ظمأ حبي في رحلة الفراق.

*

fb/mashro3pdf

أواه يا شمس المغيب الشاحبة
احملي تحيات السقيم إلى موفور الصحة.

*

نسيت، يا حبيبي المسافر في البلاد النائية،
شكل وجهك، أما اسمك! لا.

*

أتمنى لك الشفاء من مرضك العضال
إن عجزت عن زيارتك، اقبل صلواتي هدية.

*

البون يقتلني، اللقاء يحرقني
أي مجنونة أنا، ليس بوسعها تحمل هذا أو ذاك.

*

بيت حبيبي في الشرق
خيوط أشعة الشروق توصل تحياته لي.

*

أحلم بك في الليل، ثم
أستيقظ في هجيعه لأتنهد حتى الفجر.

*

أسرع أيها القمر، ابزغ
حبيبي مسافر في جبال شاهقة.

*

fb/mashro3pdf

تعال قبلني في ضوء القمر يا حبيبي!
كي لا تتبعثر خصلات شعري في الظلام.

*

بالله عليك أيها القمر!
لا تلق بخيوط نورك بين محبين.

*

تحية أيها القمر
أرجوك أن لا تكشف حبيبي القادم إلي.

*

لا ينبغي أن أكون مدينة لك أيها القمر!
أسطو على القبلات، وأتوارى بالمتراس.

*

ارتفع القمر في كبد السماء
إما أن السبات دون حبيب هجرني، أو أني غير قادرة على النوم.

*

مد يدك لي مرة واحدة
سأتذكر قبضة هذه اليد أمداً طويلاً.

*

حين يفترق عاشقان

fb/mashro3pdf

ستبكي الصخور وأعشاب البراري غداً.

*

لتكن رحلتك فاشلة
يا من تركت شفاه الياقوت هذه نائمة.

*

أصغي! هل أسمع عويلاً في البيت.
أظن أن هناك إما مريضاً أو ربما حبيباً آب من سفر.

*

أغاني منتصف الليل مفرحة
تُغَنّى لحبيب أو عائد إلى أهله من بعيد.

*

علي أن أسافر ثانية غداً،
سأحمل الحزمة على رأسي، والأسى في فؤادي.

*

حاولت وضع لفات في عقص شعري، لكنها رفضت
إن شاء الله أن لا يصاب حبيبي بأذى في رحلته.

*

أحافظ على روحي في جسدي
بوعدها أنك عائد غداً أو بعد غد.

*

fb/mashro3pdf

وصلت القرية في منتصف الليل
من يجرؤ على إيقاظ حبيبتي؟

*

إذا سافر حبيبي، أتمنى له حظاً سعيداً
قلبه مشبوك في عقص شعري، إذن سيعود لي قريباً.

*

شكا قلبي العينين،
أنتما تريان، وأنا أعاني.

*

أجابت العينان:
« أنت الذي أحب، ونحن نذرف دموع الحب»

*

عندها يصبح القلب قاضياً
«يولد القلق من الحب، لذا ينبغي أن يقتسم بالتساوي»

*

أهدابك اخترقت قلبي،
لا تكن فظاً، ارفع عينيك ببطء، أنا احتضر.

*

أحزاني تولد من عيني المفتوحتين
سأبقيهما مقفلتين مثل عيون الصقر.

*

fb/mashro3pdf

مزقت صدف قلبي
لذا أصب اللؤلؤ من عيوني.

*

لا تصفع وجهي بقسوة
لمن عندها ستلتفت عيوني الباكية.

*

حبيبي! إذا نظرت إليك بعيون ناعسة
سيمسي عالمك حفنة رماد.

*

يحب حبيبي العيون مشوبة بالحمرة.
أين سأحول عيني السوداوين ؟

*

لا تغلقوا عيني أيها الناس!
روحي تنتظر وصول حبيبي قبل الصعود.

*

انبشوا قبري، انظروا في عيني اللتين مثل الجراد
مطليتين مغمورتين بالتراب.

*

إن لم تكن بارعاً في السيف، ما الذي ستفعله؟
يا من رضعت من صدر أم أفغانية!

*

fb/mashro3pdf

قد لا يبقى هناك من يلمس عقصي السوداء
لكني لا أمنع حبيبي من القتال في سبيل البلاد.

*

حين لا تستل السيوف البتارة، أرقص في الساحة
كم ضحكت على أترابي.

*

جُد بنفسك يا حبيبي في المعركة
سأغطي ضريحك بشالي متعدد الألوان.

*

ضحى حبيبي بنفسه في سبيل البلاد
أخيط كفنه بشعر من خصلي.

*

من كان عاشقاً أو تنتظره حبيبة
يمكنه بلوغ مواقع العدو.

*

لو كانت معركة سيوف، أنا مستعد
لكنها معركة مع القدر، لذا أنا ضائع.

fb/mashro3pdf

نبذة عن الكاتب

اغتيل سعيد بهو الدين مجروح ـ مواليد ١٢ شباط/ فبراير ١٩٢٨، في ١١ شباط/ فبراير ١٩٨٨ في بشاور.

حاصل على دكتوراه في الفلسفة من جامعة مونبلليه.

عميد كلية الآداب في جامعة كابول، وحاكم مقاطعة كابيشا. بعد الاحتلال السوفيتي لأفغانستان،

نفي إلى بيشاور حيث أسس مركز المعلومات الأفغاني الذي نشر في العالم تقارير كاملة وتحاليل حول المقاومة.

كاتب ملحمة صغيرة «الوحش الأناني»، التي تجمع الأعمال الشعرية الأفغانية الرئيسة في القرن العشرين.

يؤكد سعيد بهو الدين مجروح، وريث عمر الخيام، الصناعي، الرومي، وكذلك مونتان وديدرويت أيضاً، بقوة على جانب إنساني لا يختزل. جانب أغرى أندريه فيلتير بنقله في ملحقه المعنون «كشاف منتصف الليل».

fb/mashro3pdf

عند وصوله، كان كل شيء قد انتهى. الصخب انتهى والجمهور تفرق ببطء.

غير بعيد من المكان، افتخر بعض المتدينين الوقورين بلحاهم المخيفة، عمامتهم وجلابيبهم السوداء التي سربلتهم بثوب جنائزي أكثر من تقاليدهم.

بلغ المسافر وسط المكان.

هناك، نصف مختفين تحت أكمة حجارة، كانت شابة وشاب يرقدان مغطيين بالوحل والدم.

سعيد بهو الدين مجروح

«ضحك العشاق»

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

اللانداي

عند وصوله ، كان كل شيء قد انتهى . الصخب انتهى والجمهور تفرق ببطء .

غير بعيد من المكان ، افتخر بعض المتدينين الوقورين بلحاهم المخيفة ، عمامتهم وجلابيبهم السوداء التي سربلتهم بثوب جنائزي أكثر من تقاليدهم .

بلغ المسافر وسط المكان .

هناك ، نصف مختفين تحت أكمة حجارة ، كانت شابة وشاب يرقدان مغطيين بالوحل والدم .

سعيد بهو الدين مجروح

«ضحك العشاق»

fb/mashro3pdf